حسن عبّاس

بين المخاطَبة والتنشِئة...
سُبُل حزب الله إلى عقول محبّيه

أمم
للتوثيق والأبحاث
Documentation & Research

حسن عبّاس

بين المخاطَبة والتنشِئة... سُبُل حزب الله إلى عقول محبّيه

من أرشيف جريدة العهد

في تشبيه يحكي الكثير، يقول مؤسس الجمهورية الإسلامية الإيرانية روح الله الخميني إنَّ «أهمية المطبوعات مثل أهمية الدماء التي تُراق في الجبهات»،[1] ولا يكتفي بهذا التشبيه بل يضيف أنَّ «تأثير الأقلام أكثر» من تأثير «دماء الشهداء».

كلام الخميني هذا ليس غريبًا إذا وضعناه في سياق منظومته الفكرية ذات الطابع التبشيري التي تنظر إلى وسائل الإعلام كجهاز توجيهي له مهمات مثل «توعية جميع فئات الشعب»، و«تربيتهم» و«تخليصهم من التغرّب» و«حمْل نداء الإسلام»، و«تهذيب المجتمع» و«نشر الأخلاق الإلهية»...[2]

في لبنان، بدأ مَن يسمّيهم الخميني بـ«فِتية حزب الله»، أي المؤمنين بالثورة الإيرانية في أي مكان كانوا، بالعمل والنشاط الجدّي منذ عام ١٩٨٢، قبل نحو ثلاث سنوات من «الرسالة المفتوحة»[3] التي أعلنوا بها عن أنفسهم كتنظيم سياسي يحمل اسم «حزب الله».

ومنذ البدايات، كانوا حريصين على إيصال أفكارهم إلى عدد كبير من الناس، نظرًا إلى طبيعة حركتهم الناشئة والتبشيرية في ميدانَيْ الدين والسياسة، فساروا على هدى أفكار الخميني، واعين لأهمية وسائل الإعلام العادية، وكذلك لما هو أهم منها: المساجد.

(١) الخميني، إعداد مركز نون للتأليف والترجمة، التربية والمجتمع في فكر الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط. ٢، ٢٠٠٥، ص. ٨٢.

(٢) المرجع السابق، ص. ٨٢، ٨٣.

(٣) نص الرسالة المفتوحة التي وجهها حزب الله إلى المستضعفين في لبنان والعالم، ١٦ شباط ١٩٨٥، لا تاريخ نشر، لا دار نشر (منشورة على موقع «فهرس أمم للتوثيق والأبحاث» التابع لمؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث).

أ- إعلام حزب الله... تعليم «الشهادة» و«المقاومة»

أ- ١- «المطبوعات» وما بعدها

بعد تجارب عدّة لم يدم كل منها أكثر من بضعة أشهر، صدرت في ١٨ حزيران ١٩٨٤ جريدة «العهد»، وكانت أسبوعية تغطي مروحة من المواضيع السياسية والاجتماعية. ومنذ تأسيسها، عمد حزب الله إلى «تأمين

وصولها إلى عدد كبير من القراء. فلم تَبقَ مؤسسة، أو مركز له أو مسجد أو مكتبة عامة، إلا وحرص على إيصالها إليها».[٤]

كانت أعداد الجريدة «تُباع عبر توزيعها على المنازل أسبوعيًا»،[٥] وعمل حزب الله أيضًا على توفيرها في القرى النائية. ففي جرود الهرمل على سبيل المثال، كانت تُسَلَّم كل أسبوع إلى المسؤول الإعلامي في المنطقة، و«يعمد هذا الأخير إلى توزيعها على الروابط الإعلامية، حيث يوجد في كل قرية مسؤول إعلامي، يعاونه عدد من الأفراد الذين يتولّون توزيعها على الأهالي الراغبين في الاطّلاع على أخبار المقاومة».[٦]

وعوّل حزب الله على جريدته هذه كثيرًا في تواصله مع الناس، فجاءت موادُها سهلة وذات طبيعة تعبوية، «تقول كل أسبوع للمناضل المؤمن، ولأصدقائه وأصحابه وأهله، ما يحسن به أنْ يفكره، وما ينبغي أنْ يعرفه ويقوله ليصح فيه نعت الإسلام».[٧]

مع الوقت، ومع تزايد عمليات حزب الله على مواقع عسكرية في جنوب لبنان يحتلها جنود إسرائيليون أو أعضاء في ميليشيا أنطوان لحد المتعاملة معها، صار الطلب على الجريدة أعلى لأن «الفضول» كان يدفع الناس إلى التعرّف على تفاصيل هذه العمليات و«كانت تنفرد الجريدة بنشرها»، ما دفع إلى إصدار المزيد من الأعداد.[٨]

في الخامس من تشرين الثاني ١٩٩٩، انتقلت العهد إلى الفضاء الإلكتروني، كما حال معظم المطبوعات، قبل سنتين من مزاوجتها بين اسمَيْ العهد والانتقاد.[٩] وبعد بضعة سنوات تحوّلت إلى موقع إخباري يومي سياسي شامل.

الانتقاد، أرشيف «أمم»

تلفزيون المنار على صفحات جريدة العهد، أرشيف «أمم»

بجانب هذه الجريدة، أطلق حزب الله في شباط ١٩٩١، «ببركة اسم صاحب العصر والزمان»،[١٠] مجلة «بقية الله» الشهرية التي تركز على مواضيع ثقافية ودينية مثل «ثقافة الولاية»، «الجهاد» و«الشهادة»، وفيها باب باسم «في رحاب بقية الله»، يختص بـ«معالجة الموضوعات التي ترتبط بصاحب العصر والزمان، ثقافة الانتظار الإيجابي، التمهيد للإمام...».[١١]

ولتوسيع دائرة المتأثرين بموضوعاتها أبعد من قرائها أنفسهم، أعدّ القائمون عليها عام ٢٠١٤ خطة لتصل إلى الناس وهم في منازلهم وسياراتهم، وجرى «الاتفاق مع القنوات الإعلامية (قناة المنار، إذاعة النور، تلفزيون الصراط، قناة الكوثر) على تخصيص برامج ترويجية عن كل عدد جديد، أو عن بعض مواضيعه، أو إعداد تقارير تغطي محاور

(٤) طه، غسان فوزي، شيعة لبنان: العشيرة، الحزب، الدولة (بعلبك - الهرمل نموذجًا)، معهد المعارف الحكمية، بيروت، ط. ١، ٢٠٠٦، ص. ٣٢١.

(٥) جرادي، حسين، الخطاب الديني هو الأساس وفكرة الاستشهاد هي المحرك- هكذا يعبّئ حزب الله شبابه، جريدة النهار، بيروت، العدد ٢١١٩٣، ٣ آذار ٢٠٠٢، ص. ١٥.

(٦) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٢١، ٣٢٢.

(٧) شرارة، وضاح، دولة حزب الله: لبنان مجتمعًا إسلاميًا، ط ٤، دار النهار، بيروت، ٢٠٠٦، ص. ٢٤٢.

(٨) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٢٢.

(٩) توقفت جريدة العهد عن الصدور باسمها عند العدد ٨٩٦، في نيسان ٢٠٠١. بعد هذا التاريخ تغيّر اسمها، عقب شراء امتياز «الانتقاد» الذي يعود إلى عام ١٩٦٣، وصدر العدد ٨٩٧ في ٢٠ نيسان ٢٠٠١ حاملًا اسم «الانتقاد» بخط كبير، مع الحفاظ على اسم «العهد» بخط أصغر. (انظر/ي: هدلا، عباس، الإعلام عند شيعة لبنان- مبادرات وسلاح، منشورات مؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص. ٥٣، ٥٤).

(١٠) مَن نحن؟، موقع مجلة بقية الله.

(١١) المرجع السابق.

ثقافيـة مفصليـة تناولهـا عـددٌ صـادر»، بحسـب محمـد بـزي، المـوكل بملـف العلاقـات والتسـويق حينـذاك.[١٢]

إضافـة إلـى ذلـك، يشـرف حـزب اللـه علـى عشـرات المواقـع الإلكترونيـة، وعـام ٢٠١٧، كانـت «وحـدة الإعـلام الإلكترونـي المركـزي فـي حـزب اللـه» تعمـل مـع نحـو مئـة موقـع، بحسـب المسـؤول عنهـا آنـذاك حسـين رحـال.[١٣]

جـزء مـن إعـلام حـزب اللـه المكتـوب يُعنـى بالأطفـال، كمـا حـال «مجلـة المهـدي» التـي انطلقـت عـام ٢٠٠٣،[١٤] ولخّـص مديرهـا العـام عبـاس شـرارة عـام ٢٠١٤ هدفهـا بـ «تعليـم الأطفـال قيـم المقاومـة»،[١٥] وكان توزيعهـا يصـل حينـذاك إلـى ٣٠ ألـف نسـخة.[١٦]

وبجانـب كل هـذه الوسـائل الإعلاميـة المكتوبـة، ينشـر حـزب اللـه والمؤسسـات التابعـة لـه أو الدائـرة فـي فلكـه وبعـض المراكـز الثقافيـة المرتبطـة بـه، مثـل «مركـز الإمـام الخمينـي الثقافـي»،[١٧] كتبًـا وكتيّبـات كثيـرة، تسـتهدف العناصـر الحزبييـن لرفـع ثقافتهـم «الولائيـة»، كمـا افتتـاح علاقـة «عقائديـة» مـع جمهـور أوسـع.

كذلـك ينشـر حـزب اللـه نشـرات وتقاريـر خاصـة يوزعهـا حصـرًا علـى عناصـره لإبقـاء معلوماتهـم بشـأن مواقفـه محدّثـة. أحـد الأمثلـة نشـرة وجدهـا الجيـش الإسـرائيلي فـي لبنـان، أثنـاء عـدوان تمـوز ٢٠٠٦، وكانـت مطبوعـة علـى ورق عـادي، وتحمـل عنـوان «التحليـل السياسـي الأسـبوعي»، وتحتـه ملاحظـة أنّـه «يـوزع علـى أعضـاء المجالس ومسـؤولي الأقسـام والشـعب»، وفـي موضـع آخـر كُتـب «للاطّـلاع والتلـف».[١٨]

بقية الله

العدد الاول — شعبان ١٤١١هـ

في هذا العدد

- نداء روح الله (الجهاد)
- الافتتاحية ٢
- من هدي القرآن (الفلاح) ٤
- كلامكم نور (فضل العالم) ٥
- الاخلاق في الاسلام — آية الله مشكيني ٦
- بحث حول سيرة الامام السجاد — السيد القائد ٨
- الفقه الجهادي ١١
- ولاية الفقيه — آية الله جوادي الآملي ١٣
- مكتبتنا الاسلامية ١٧
- الامام قدوة ١٨
- العقيدة الحياة بعد الموت ٢٠
- الادارة والقيادة في الاسلام — آية الله مكارم الشيرازي ٢١
- اعلام الجهاد الشهيد بهشتي ٢٢
- ذكريات من الجبهة ٢٦
- عمليات المقاومة الاسلامية ٢٨
- مع الشهداء (الشهيد هيثم دبوق) ٢٩
- الوعي السياسي ٣٠
- جغرافيا سياسية ٣١
- المسلمون في اوغندا ٣٤
- العلم في مدرسة الائمة (ع) ٣٥
- طرائف ٣٦
- مع القائد

دعوة

إلى الاخوة المجاهدين الذين عاشوا ملاحم البطولة والفداء تدعوكم مجلة «بقية الله» الى المساهمة بالكتابة في كافة المجالات الثقافية وخاصة في باب الذكريات التي ترتبط بالجهاد والعمليات الجهادية والتي يظهر فيها المدد الغيبي جلياً.

تختار المجلة من بين المقالات التي تردها افضل مقالة وتنشرها مقابل جائزة تعطى لصاحبها.

فهرست العدد صفر من مجلة بقية الله، موقع المجلة

أ- ٢- كلام عبر الأثير

تجربـة حـزب اللـه مـع الإعـلام الإذاعـي بـدأت عـام ١٩٨٣ فـي بعلبـك بتأسيسـه محطـة حملـت اسـم «صـوت المسـتضعفين»، وصَفَهـا أول مَـن تولـى إدارتهـا، الشـيخ الراحـل خضـر طليـس، بأنهـا «المتـراس الإعلامـي الأول للحالـة الإسـلامية فـي لبنـان».[١٩]

بجانـب تغطيتهـا أخبـار نشـاطات حـزب اللـه ودعوتهـا النـاس إلـى المشـاركة فيهـا، وبثهـا أخبـار عملياتـه العسـكرية، كانـت هـذه الإذاعـة تخصـص فتـرات للإجابـة عـن الأسـئلة الفقهيـة وتبـث برامـج دينيـة و«سـاهمت (...) فـي بلـورة الوعـي الدينـي وترسـيخه عبـر البرامـج التـي خُصصـت لهـذا الشـأن، علـى غـرار نقـل الخطبـة الكاملـة ليـوم الجمعـة، التـي كانـت تقـام فـي مسـجد الإمـام علـي فـي مدينـة بعلبـك والتـي عكـف علـى أدائهـا السـيد عبـاس الموسـوي حتـى بدايـة التسـعينيات، ليحـل بعـده الوكيـل

(١٢) عبد الله، نهى، إعلام المجلة.. خدمة وصدق ووفاء، موقع مجلة بقية الله، ٢٨ حزيران ٢٠٢٢.

(١٣) الإعلام الإلكتروني: مواكبة جهادية، موقع مجلة بقية الله، ٧ آذار ٢٠١٧.

(١٤) بدأت بإصدار شهري مخصص للأطفال بعمر ٧-١٥ سنة، وبعد عشر سنوات انقسمت إلى ثلاث طبعات: واحدة مخصصة لعمر ٤-٧ سنوات، وأخرى لعمر ٨-١٢ سنة وثالثة لعمر ١٣-١٧ سنة.

(١٥) Mohamad Ali Harissi, "In Hezbollah children›s magazine, not fairies but fighters", AFP, Yahoo News, 2 December 2014.

(١٦) المرجع السابق.

(١٧) مركز الإمام الخميني الثقافي هو مركز إيراني، تأسس فرعه اللبناني عام ١٩٩١، ومقره الرئيسي في حارة حريك، في ضواحي بيروت الجنوبية، ويقوم بترجمة آثار الخميني ومواد أخرى مرتبطة بالثورة الإيرانية.

(١٨) Meir Amit Intelligence and Terrorism Information Center. Hezbollah as a Case Study of the Battle for Hearts and Minds. June 2007, P. 89, 90.

(١٩) «العهد» تواصل فتح ملف المؤسسات الإسلامية: إذاعة الإسلام- صوت المستضعفين... وصدى المقاومين ومتراسهم، جريدة العهد، العدد ٢٨٣، ٢٤ تشرين الثاني ١٩٨٩.

صوت المستضعفين، أرشيف «أمم»

الشـرعي للولـي الفقيـه وعضـو شـورى الحـزب الشـيخ محمـد يزبـك»، مـا أوصلهـا إلـى غيـر القادريـن علـى القـدوم إلـى مـكان إلقائهـا، فـي أقصـى قـرى سلسـلتيْ جبـال لبنـان الشـرقية والغربيـة.[٢٠]

وفـي بيـروت، ظهـرت عـام ١٩٨٧ إذاعـة «صـوت الإيمـان»، وكانـت تـدور فـي فلـك السـيد محمـد حسـين فضـل اللـه، أحـد وجـوه الحركـة الخمينيـة البارزيـن قبـل انفصالـه عنهـا فـي بدايـة التسـعينيات مـن القـرن الماضـي بإعلانـه نفسـه مرجعيـة فقهيـة مسـتقلة.

وفـي ٩ أيـار ١٩٨٨ أُطلقـت إذاعـة النـور، درّة تـاج إعـلام حزب اللـه الإذاعـي، وبـدأت تدريجيًـا تسـتقطب جمهـوره وتحـلّ مـكان الإذاعتيـن المذكورتيْـن أعـلاه؛ ولكـن بمـا أنَّ إرسـالها لم يكـن يغطّـي كل لبنـان، «بقيـت إذاعـة المسـتضعفين تشـكل الوسـيلة الوحيـدة للبـث المسـموع التابـع لحـزب اللـه فـي منطقـة بعلبـك- الهرمـل»[٢١] حتـى منتصـف التسـعينيات. وعـام ١٩٩٩، نالـت «النـور» ترخيصًـا رسـميًا بعـد إعـادة

(٢٠) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٢٣.

(٢١) المرجع السابق، ص. ٣٢٣.

إذاعة النور، أرشيف «أمم»

تنظيـم الإعـلام فـي لبنـان، وأقفلـت الإذاعتـان الآنفتـا الذكـر لعـدم الحصـول علـى ترخيـص رسـمي.[٢٢]

وحتـى الآن، لا تـزال «النـور» إذاعـة مؤثـرة فهـي رفيقـة محبّي حـزب اللـه وكثيريـن مـن المهتميـن بالبرامـج السياسـية فـي سـياراتهم، وتصـل رسـائلها يوميًـا بشـكل غيـر اختيـاري إلـى آلاف ركاب سـيارات التاكسـي.

أ- ٣- انظر واسمع

فـي الرابـع مـن حزيـران ١٩٩١، تأسسـت قنـاة المنـار علـى أيـدي «عـدد مـن تلامـذة وعشـاق الإمـام الخمينـي»،[٢٣] فـي الذكـرى السـنوية الثانيـة لرحيلـه. وهَدَفهـا، بحسـب مديرهـا العـام الأول علـي ضاهـر، تحقيـق أمريـن: «وقـف أو تخفيـف الانحـراف الحاصـل فـي المجتمـع، وإيجـاد منبـر للمقاومـة يطـلّ علـى النـاس مـن بـاب أوسـع».[٢٤]

قبلهـا عـرف حـزب اللـه تجربـة تلفزيونيـة متواضعـة حيـن أنشـأ عـام ١٩٨٧ فـي البقـاع قنـاة سـمّاها «الفجـر»، كانـت «تبـث صـورًا لآيـة اللـه الخمينـي وخطـب الجمعـة للعلامـة محمـد حسـين فضـل اللـه، وتقاريـر عـن عمليـات عسـكرية للحـرس الثـوري الإيرانـي إضافـة إلـى أناشـيد ثوريـة عربيـة وإيرانيـة».[٢٥]

(٢٢) هدلا، عباس، مرجع سابق، ص. ٦٩.

(٢٣) كلمة السيد حسن نصر الله في الذكرى الثلاثين لتأسيس قناة المنار ٨-٦-٢٠٢١، موقع العلاقات الإعلامية في حزب الله، ٩ حزيران ٢٠٢١.

(٢٤) النابلسي، بهاء، حلم تحقق لتخفيف الانحراف ونقل يوميات المقاومة: «المنار» حاجة وطنية ومشروع متكامل يستحق الترخيص، جريدة العهد، العدد ٦٥٩، ٤ تشرين الأول ١٩٩٦، ص. ٨.

(٢٥) محطة تلفزيونية في البقاع لـ«حزب الله»، جريدة السفير، ٢٠ تشرين الأول ١٩٨٧، عدد رقم ٤٧٩٧، ص. ٤.

غرس راية حزب الله فوق موقع الدبشة، موقع قناة المنار

نجحت «المنار» بالتحوّل إلى أيقونة إعلام حزب الله. فإلى تشكيلها منصة لمواقف قادته، وكونها وسيلة يعرض عبرها الأخبار من وجهة نظره، وبالإضافة إلى ما كانت تبثه من برامج دينية وسير «الشهداء» و«كليبات» دعائية ينتجها إعلام هذا الحزب الحربي، كان من أهم ما تبثه مشاهد من عملياته العسكرية.

كانت هذه المشاهد التي ينتجها إعلام حزب الله الحربي تظهر «الكثير من قدرات المقاومة الفنية والأمنية»، فضلًا عما كانت تبثه من روح معنوية لأفراد[حزب الله]ومؤيديه».[٢٦] واحد من أشهرها هو فيديو اقتحام أربعة من عناصر حزب الله لموقع الدبشة، وهو موقع سابق لقوات الاحتلال الإسرائيلي في منطقة النبطية، في ٢٩ تشرين الأول ١٩٩٤، وقَتْل وجرح عدّة جنود فيه، ورَفْع راية الحزب عليه. وكان ذلك أول فيديو يوثّق وضع حزب الله علمه على موقع للاحتلال الإسرائيلي.

عبر توثيق عملياته العسكرية، مَنَع حزب الله إسرائيل من إنكار خسائرها وأوصل إلى الجمهور الإسرائيلي صورًا تشعره بالضعف، كما نجح في أن يفرض على وسائل الإعلام الإسرائيلية تناول بعض ما ينتجه من مواد إعلامية، ليوصل عبرها جزءًا من خطابه إلى الإسرائيليين.

واشتهر حزب الله في حربه الإعلامية والنفسية على العدو بقدرته على تضخيم أثر الفعل الذي يقوم به، في ما يُعرف بـ«الدعاية العملية» (Propaganda of the Deed). ويُعرّف هذا المصطلح بأنه «عمل عنيف ذو طابع رمزي و/أو شديد، يهدف إلى إحداث أثر أيديولوجي يفوق بكثير الفعل نفسه من حيث الحجم أو النتيجة المباشرة»،[٢٧] وهو ما وصفه أحد مسؤولي حزب الله بقوله: «في الميدان، نُصيب جنديًا إسرائيليًا واحدًا... لكن شريطًا يُظهره وهو يصرخ طالبًا النجدة يؤثر في آلاف الإسرائيليين».[٢٨]

يتطلّب هذا الأسلوب أحيانًا إخبار نصف الرواية الذي يناسب الراوي فقط، ففي عملية الدبشة الشهيرة مثلًا «ما لم يُذكر في توظيف هذا الحدث هو أنَّ الوحدة التي نفّذت العملية تمَّ طردها في نهاية المطاف» من الموقع.[٢٩]

جانب من احتفالات نظّمها حزب الله لاستقبال شاحنات المازوت، موقع قناة المنار

أسلوب دعائي مشابه يطبّقه حزب الله على جمهوره في قضايا لا علاقة لها بالصراع مع إسرائيل. هذا ما قام به مثلًا عندما أدخل إلى لبنان شاحنات محمّلة بـ«المازوت الإيراني» انطلقت من ميناء بانياس السوري في أواخر عام ٢٠٢١، فقد أحيا لأجل ذلك مجموعة واسعة من الاحتفالات وأطلق

(٢٦) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٢٥، ٣٢٦.

(٢٧) Bolt, Neville, David Betz, and Jez Azari. Propaganda of the Deed 2008: Understanding the Phenomenon. Whitehall Report 3-08 in Whitehall Report Series, edited by Dr. Terrence McNamee, The Royal United Services Institute for Defence and Security Studies, 1998, p. 2. (Cited in: Mulhern, Stephen Keith. An analysis of Hezbollah's use of irregular warfare. Intelligence and National Security Studies Program, The University of Texas at El Paso, 2012, p. 42.)

(٢٨) Wehrey, Frederic M. «A Clash of Wills: Hizballah's Psychological Campaign Against Israel in South Lebanon.» Small Wars & Insurgencies, vol. 13, no. 3, 2002, p. 65. (Cited in: Mulhern, Stephen Keith. p. 42.)

(٢٩) Schleifer, Ron. «Psychological Operations: A New Variation on an Age Old Art: Hezbollah versus Israel.» Studies in Conflict & Terrorism, vol. 29, no. 1, 2006, p. 6. (Cited in: Mulhern, Stephen Keith. p. 43.)

مئات الخطابات والتصريحات، ولكن في النهاية كان أثرها على حياة الناس أقل بكثير من أثرها الإعلامي.

حينذاك، نظّم حزب الله «جدول فعاليات» تتضمن احتفالات شعبية لاستقبال «قافلة» الصهاريج،[٣٠] و«هيأ قسم الإعلام في الحزب الصوتيات وآلاف الرايات والشعارات»،[٣١] وكان لافتًا جدًا أنَّ صور دخول صهاريج المازوت الإيراني إلى بيروت نشرها «الإعلام الحربي للمقاومة الإسلامية».[٣٢]

صور نشرها موقع قناة المنار في ١٦ أيلول ٢٠٢١ داخل تقرير يحتفي بدخول شاحنات المازوت إلى لبنان

حمّل حزب الله في حملته الدعائية التي رافقت «المازوت الإيراني» مسؤولية الانهيار الاقتصادي إلى «حصار دولي» تقف وراءه الولايات المتحدة الأميركية، وليس سياساته وباقي أفرقاء الحكومات اللبنانية المتعاقبة، ولا حمايته للطبقة السياسية بعد انتفاضة تشرين ٢٠١٩.

ورغم أنَّ الحزب تراجع عن تهديده باستقدام بواخر إيرانية إلى مرفأ بيروت واضطر بسبب العقوبات المفروضة على طهران أن يحضرها إلى ميناء بانياس في سوريا، ومنه إلى لبنان عبر صهاريج سمّاها «صهاريج كسر الحصار»، فإنَّ رئيس مجلس التنفيذي الراحل هاشم صفي الدين اعتبر أنَّ «المقاومة الإسلامية اليوم في هذا الموقف كسرت الطوق الذي كان محكمًا على لبنان».[٣٣] وكذلك قال أمينه العام الراحل حسن نصر الله إنَّ «البواخر التي تحمل مشتقات نفطية إلى الشعب اللبناني» وصلت ضمن «معادلة الردع القائمة في لبنان».[٣٤]

وكثيرًا ما يطلق حزب الله تصريحات حادة ضد إسرائيل والولايات المتحدة وغيرها من الدول، ليس بهدف إيصالها إلى مسؤوليها، بل لإسماعها إلى اللبنانيين، وبالأخص لمؤيديه من الشيعة، لرفع معنوياتهم، وإشعارهم بأنهم مسنودون بحزب شديد البأس.

وهذا الأسلوب ليس جديدًا. عام ١٩٩٦، خلال عدوان نيسان، راحت المنار تبث إعلانات موجهة إلى سكان المستوطنات في شمال إسرائيل تنذرهم فيها بأنها ستقصف مناطقهم بصلّيات من الصواريخ كرد على الإنذارات التي كان الجيش الإسرائيلي يرسلها إلى اللبنانيين. وكان وقع ذلك المعنوي إيجابيًا بشدّة عند اللبنانيين، وخاصة الشيعة منهم، على أساس أنه صار هنالك مَن ينتقم لهم مِن استهدافهم، وبنفس الوسيلة. ولكن ما لم تعلمه أكثرية الناس وقتها هو أنَّ، أبناء تلك المستوطنات، أُقله معظمهم، لا يشاهدون قناة المنار.

(٣٠) كيف سيستقبل حزب الله قافلة صهاريج المازوت؟، موقع جريدة الأخبار، ١٤ أيلول ٢٠٢١.

(٣١) استكمال التحضيرات لاستقبال صهاريج مازوت الباخرة الإيرانية في بعلبك، موقع قناة المنار، ١٤ أيلول ٢٠٢١.

(٣٢) الإعلام الحربي ينشر صورًا لوصول صهاريج المازوت الإيرانية إلى لبنان، موقع قناة المنار، ١٧ أيلول ٢٠٢١.

(٣٣) السيد صفي الدين: عندما أحضرنا المازوت فهم الإسرائيلي والأميركي جيدًا أن هذه البداية.. وسنعطي الحكومة فرصة لحل المشاكل الملحة، موقع قناة المنار، ٤ تشرين الأول ٢٠٢١.

(٣٤) كلمة السيد حسن نصر الله حول آخر التطورات والمستجدات ١٣-٩-٢٠٢١، موقع العلاقات الإعلامية في حزب الله، ١٤ أيلول ٢٠٢١.

أ- ٤- «تريندات» وشبكات

لحزب الله حضور قوي ومؤثر على وسائل التواصل الاجتماعي، ليس فقط بسبب كثرة حسابات محازبيه ومؤيديه، بل لقدرته على تنظيم حملات لإشاعة فكرة معيّنة وتحويلها إلى «ترينـد» وكذلك تنظيم حملات للهجوم على شخصية معيّنة أو دعم أخرى.

ويساعد تحليل الحملة على الكاتب والباحث والناشط السياسي اللبناني الراحل لقمان سليم، مباشرة بعد انتشار خبر اغتياله في الرابع من شباط ٢٠٢١، على موقع تويتر (إكس حاليًا)، في فهم كيف تعمل الشبكات ذات الصلة.

تعرّض سليم لحملة «كراهية» بعد اغتياله، أدارتها شبكة «تضم ١١٦٤ مغردًا ومغردة»،[٣٥] وتتألف من «مجموعات تتكون من مؤثرين رئيسيين يديرون الحديث ومؤيدين يكررون التغريدات أو يؤيدونها عبر التعليقات».[٣٦]

وتبيّن أنَّ بعض حسابات «شبكة الكراهية» هذه «إما مزيفة أو تم إنشاؤها لغرض سياسي محدد»،[٣٧] وأنَّ هنالك ٢٧ مجموعة ضمن هذه الشبكة «تتألف كل واحدة منها من ٢ إلى ٢١١ مستخدمًا»، بينها شبكات تأثير مركزية تتحلق حول حسابات أظهرت أكثر من ٥٠ متفاعلًا،[٣٨] وكُثر من أصحاب هذه الحسابات عُرفوا في مناسبات عدة بمشاركتهم في حملات لصالح حزب الله وبعضهم يُعتبرون من وجوهه البارزين في عالم التواصل الاجتماعي.

قبل نحو عقدين ظهر الحديث عن «جيش حزب الله الإلكتروني» الذي يراوح نشاطه بين حملات لاختراق خوادم عامة إسرائيلية أو غربية، وشنّ حملات إعلامية. وبعض أدوار هذا «الجيش» الإعلامية لا يرتبط بأي حدث له علاقة بلبنان أو بالصراع اللبناني الإسرائيلي، بل يقتصر على «تبييض» وجه إيران، ما دفع البعض إلى وصفه بأنه «مقاول فرعي» sub-contractor لها. ومن الأمثلة على ذلك قيام شبكات مرتبطة بهذا «الجيش» بترداد تعليق السيد حسن نصر الله على مقتل مهسا أميني[٣٩] بأنها «توفيت في حادثة غامضة».[٤٠]

ولا يكتفي «جيش حزب الله الإلكتروني» بما سبق، إذ قام بتدريب «آلاف الناشطين على مواقع التواصل الاجتماعي المدعومين من إيران»، مِن دول عربية مختلفة بينها العراق والسعودية والبحرين وسوريا، بحسب تحقيق نشرته صحيفة «ذا تلغراف» البريطانية عام ٢٠٢٠، «مساعدًا في خلق جيوش إلكترونية» في جميع أنحاء منطقة الشرق الأوسط.[٤١]

أ- ٥- في إعلام «الآخرين»

المبنى المستهدف بتفجير بئر العبد، موقع بوابة بيروت

يعرف حزب الله كيف يوصل رسالته عبر إعلام الآخرين منذ وقت طويل. يحكي المدير العام السابق لقناة المنار عبد الله قصير قصة تعود إلى عام ١٩٨٥ حين وقع تفجير ضخم في منطقة بئر العبد، في ضواحي بيروت الجنوبية، لمحاولة اغتيال السيد محمد حسين فضل الله، واتُّهم جهاز المخابرات المركزية الأميركية بالوقوف وراءه: وقتها «بادر حزب الله فور وقوع الانفجار إلى رفع لافتات في المكان تحمل عبارة

(٣٥) مسره، نصري، دراسة ميدانية لشبكات البغض التي حاصرت لقمان سليم قبل وبعد اغتياله، مؤسسة سمير قصير، ترجمة مؤسسة لقمان سليم، أيلول ٢٠٢١، ص. ١٢.

(٣٦) المرجع السابق، ص. ١٤.

(٣٧) المرجع السابق، ص. ١٥.

(٣٨) المرجع السابق، ص. ١٩.

(٣٩) توفيت الشابة الإيرانية- الكردية مهسا أميني في ١٦ أيلول ٢٠٢٢ في طهران، وذلك بعد يومين من إلقاء «شرطة الأخلاق» القبض عليها بسب عدم ارتدائها الحجاب بـ«طريقة سليمة» وتعرّضها للضرب العنيف. وأدت وفاتها إلى تظاهرات منددة بالسلطة وصارت الشابة عنوانًا لعنف سلطة آيات الله ضد النساء.

(٤٠) Pierre Pahlavi, "Digital Hezbollah and Political Warfare in Cyberspace", The national interest, October 31, 2022.

(٤١) Wil Crisp, Suadad al-Salhy, "Exclusive: Inside Hizbollah›s fake news training camps sowing instability across the Middle East", The Telegraph, 02 August 2020.

'صنع في أميركا' Made in USA»، واضطرت الصحافة العالمية والمحلية لنشر صور المجزرة، وفي وسطها هذه العبارة، فـ«كانت رسالة حزب الله موجودة داخل هذه الصور».[٤٢]

حزب الله وأخباره دائمة الحضور في وسائل إعلامية غير تابعة له بشكل مركزي، ويبدأ ذلك من قنوات وصحف مقرّبة جدًا منه أو مرتبطة به مثل قناة الميادين وصحيفة الأخبار اللبنانية، وقنوات إيرانية مثل فضائية العالم ومجموعة واسعة من القنوات الصغيرة؛ ويصل إلى وجود صحافيين موالين له في عدد كبير من الصحف والقنوات التلفزيونية اللبنانية والعربية، وهؤلاء يعكسون الأفكار التي يريد إيصالها إلى الناس. ومن الدارج في لبنان أنْ توظّف كل صحيفة صحافيين تابعين للأحزاب السياسية الكبرى كي تصل إلى الأخبار الخاصة بها.

وحيث أنّه حزبٌ فاعل في الداخل اللبناني واضطلع طوال سنوات بدور في السياسات الإقليمية، فهو بطبيعة الحال جزء من الأخبار، وبالتالي يحضر في الإعلام غير التابع له عبر تصريحات لقيادييه ونوابه وبيانات يرسلها إلى وسائل الإعلام، أكان بشكل مباشر أو عبر مواضيع تستند إلى ما يقوله.

كذلك يوصل حزب الله أفكاره ورسائله عبر استقبال قنوات غير معادية له مسؤولين فيه أو محللين مقرّبين منه، يزكّيهم للقنوات جهازه الإعلامي فيصيرون معروفين كـ«ممثلين غير مباشرين» له؛ أو عبر بث قنوات لخطاب أمينه العام، وهي عادة درجت عليها سابقًا وسائل إعلامية لبنانية عدة، وبعض القنوات التلفزيونية العربية أحيانًا نظرًا إلى المكانة التي كان أمينه العام الراحل حسن نصر الله يحظى بها محليًا وعربيًا في بعض الفترات.

كما يستجيب حزب الله لتواصل مراسلي الصحف والقنوات الأجنبية العاملين في لبنان معه، وينسق معهم لزيارات ميدانية لمناطق معيّنة لكتابة مواضيع معيّنة ويسهّل لهم مقابلة مسؤولين فيه. وعادةً لا يمكن لهؤلاء القيام بعملهم هذا إلا إذا التزموا بمجموعة تعليمات صارمة تُعطى لهم، وتقيّد قدرتهم على الحديث مع الناس والتصوير. ويزيد مرافقة عنصر من حزب الله لهم خلال تجوّلهم بين الناس من الحدّ من قدرتهم على الخروج بمواد صحافية متوازنة تُبنى على مقاربات مختلفة عن تلك الخاصة بالحزب.

أ- ٦- «انفتاح» للانتشار

في بدايات تجربة حزب الله مع الإعلام، كان يتوجّه بشكل أساسي إلى عناصره والدائرة الصغيرة المحيطة بهم والمرتبطة به عقائديًا بدرجة أو بأخرى، فكان تلفزيون المنار على سبيل المثال «نسخة عن التلفزيون الإيراني من حيث الصور والبرامج والأناشيد التي يبثها».[٤٣]

«نقلة نوعية على مستوى العلاقة مع الناس» فرضها اتخاذه قرار المشاركة في الانتخابات النيابية للعام ١٩٩٢. قبل ذلك كان يحتاج إلى مقاتلين ومراكز قوّة في المناطق الشيعية أكثر من أي شيء آخر، ولكنه منذ تلك اللحظة تنبّه إلى أهمية التقرب من شرائح واسعة من المواطنين لأنه صار يحتاج إلى ناخبين.

«الشباب كانوا منصرفين في السنوات السابقة إلى كل ما يغذّي العمل العسكري، فكانوا بعيدين نسبيًا عن الاحتكاك الواسع ببعض شرائح المجتمع في القرى والمدن»، يقول الأمين العام لحزب الله نعيم قاسم؛ لكن عندما قرر الحزب المشاركة في الانتخابات النيابية الأولى بعد انتهاء الحرب الأهلية «رتّب القرار مسؤوليات جديدة وعلاقات مطلوبة، فتمَّ رسم خطط وسياسات عامة وتعيين المسؤولين الذين يحققون هذا الهدف، إضافة إلى التوجيه المركّز بدعوة جميع الأخوة إلى المزيد من الارتباط الشعبي مع الناس».[٤٤]

أفضى هذا التوجه الجديد إلى تخلي حزب الله عن مطلبه بإقامة دولة إسلامية في لبنان، كما تكيّف بطريقة براغماتية مع حقيقة أنَّ المجتمع اللبناني متنوع دينيًا ومذهبيًا، وذلك على أساس أنه «وبما أن الإرادة

(٤٢) المدير العام السابق لقناة «المنار» يروي لـ«إرنا»: المقاومة اللبنانية والحرب الإعلامية، توصيات السيد نصر الله، وكالة إرنا الإيرانية، ٧ حزيران ٢٠١٥.

(٤٣) أسداللهي، مسعود، الإسلاميون في مجتمع تعددي: حزب الله في لبنان نموذجًا، ترجمة دلال عباس، الدار العربية للعلوم ومركز الاستشارات والبحوث، ٢٠٠٤، ص. ٣٦٧.

(٤٤) قاسم، نعيم، حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (لبنان ومقاومته في الواجهة)، دار المحجة البيضاء، بيروت، ط.٧، ٢٠١٠، ص. ١٢٤.

العامة للشعب اللبناني ضد إقامة دولة إسلامية، فإنه من غير المحتمل إقامة واحدة».[٤٥]

ثم أتى عام ١٩٩٦ الذي شهد «عدوان نيسان» الإسرائيلي على لبنان، وحمل معه تغيّرًا نوعيًا في خطاب حزب الله ومحتوى إعلامه السياسي فـ«طرحت القضايا الوطنية، وكانت المرة الأولى التي يطرح حزب الله نفسه كحزب لبناني وطرح شعارات أخرى مثل 'كلنا مقاومة' و'كلنا للوطن'».[٤٦]

ونتيجة لهذه السردية الوطنية «حظي الحزب بدعم قوي في لبنان لدرجة أنه لم يجرؤ أي سياسي من أي طائفة على انتقاد تمرده، وكانت الحكومة مستعدة للدفاع عنه أمام الأمم المتحدة».[٤٧] ومنذ ذلك الوقت، راح خطابه الجديد يتمحور حول الوطنية، وقادته «واصلوا تصوير أنفسهم باعتبارهم الوحيدين القادرين على الدفاع عن جنوب لبنان».[٤٨]

وأخذ حزب الله يستثمر في فكرة دفاعه عن لبنان، طالبًا من الناس ولاءهم وأصواتهم في الانتخابات مقابل ما يقدّمه من دماء في سبيلهم، وهو ما يلخّصه شعار «يستحق الاختيار من ضحى لأجلي وحرر أرضي وفك أسري»[٤٩] الذي استخدمه في انتخابات ٢٠٠٥ النيابية.

ب- رموز في كل مكان

منذ بداياته، لم يترك حزب الله وسيلة للتواصل إلا استخدمها. فمَن لا يصل إليه بالراديو أو بالتلفزيون يصل إليه بشريط كاسيت أو لوحة إعلانية، «فمن الملصق والصورة، والكتابة على الحائط واللافتة، إلى الكتاب والشريط السينمائي، من غير إغفال الكلام الموقع (اللطمة أو الردة) والبيان والخطبة والدرس والحديث

من المسيرات العاشورائية في الضاحية، موقع قناة المنار

الإذاعي والشريط المصور بكاميرا ٨ ملم أو ١٦ ملم، استعمل الإسلاميون آلات الدعاوة كلها».[٥٠]

ومنذ أوّل تسعينيات القرن الماضي راح حزب الله يغرق الفضاء العام برموزه ليتحوّل إلى فقرة يومية في حياة المقيمين في مناطق ذات أغلبية سكانية شيعية. فصار من العادي أن تشكّل اللوحات الإعلانية التي تحمل دعاياته السياسية أو صور شهدائه، وصولًا إلى روزنامات وصناديق التبرع الخاصة بمؤسساته المنتشرة تقريبًا في كل متجر وفي بعض البيوت الخاصة أيضًا، جزءًا لا يتجزأ من الحياة اليومية للشيعة.

وإكثار حزب الله من نشر رموزه لا يأتي عن عبث. يعرف أن مَن ينشأ في فضاء عام يعجّ برموزه سينظر إلى هيمنته كشيء من طبائع الأمور في المجتمع الشيعي، لا كشيء سياسي قابل للضمور والتغيّر.

ج- الإعلام «الإسلامي»: وصفات «خمينية»

أوْلى الخميني أهمية فائقة للمساجد، ليس لدورها في المسائل العبادية بل لتأثيرها في الحياة السياسية والاجتماعية. كان ينظر بعين الإعجاب إلى «ما كانت عليه في صدر الإسلام».[٥١] فبرأيه، كان المسجد حينذاك «مركزًا للتحرك الإسلامي»[٥٢] و«للقضايا الاجتماعية

(٤٥) Alagha, Joseph Elie. The Shifts in Hizbullah's Ideology: Religious Ideology, Political Ideology, and Political Program. Amsterdam University Press, 2006, p. 201.

(٤٦) أسداللهي، مسعود، مرجع سابق، ص. ٣٦٧، ٣٦٨.

(٤٧) Burdette, Jeff. «Anatomy of a Winning Insurgency: Learning From Hizballah's Victory Over Israel in the 1982-2000 South Lebanon Conflict.» Georgetown Security Studies Review, 10 June 2014.

(٤٨) IBID.

(٤٩) شعارات حزب الله الانتخابية منذ ١٩٩٢.. «سنخدمكم بأشفار عيوننا»ـ بالصور، موقع العهد، ٢ آذار ٢٠١٨.

(٥٠) شرارة، وضاح، مرجع سابق، ص. ٢٤٧.

(٥١) مركز نون للتأليف والترجمة، المسجد في فكر الإمام الخميني، جمعية المعارف الإسلامية، ط. ٣، ٢٠٢٠، ص. ١٢.

(٥٢) المرجع السابق، ص. ١٣.

من احتفال حزب الله المركزي في اليوم العاشر من محرم عام ٢٠٢٥، موقع قناة المنار

والسياسية»[٥٣] و«كان الإعلام الإسلامي يبدأ من المسجد، وتنطلق الجيوش وقوى المسلمين منه لدحر الكفار وإدخالهم تحت لواء الإسلام».[٥٤]

ولم تنطلق رؤيته هذه من فراغ أو من مجرّد رصد نظري تاريخي لأهمية المساجد والأدوار التي يمكن أن تلعبها، بل أتت من ملاحظة عملية للدور الذي اضطلعت به في إيران قبيل الثورة الإسلامية وأثناءها: «المساجد هي التي حققت النصر لأبناء شعبنا،» قال الخميني، و«هي مراكز حساسة ينبغي للشعب الاهتمام بها».[٥٥]

في لبنان، ورث حزب الله عن الخميني هذا الاهتمام، بجانب التنبّه إلى أهمية استخدام المناسبات الدينية في الدعاية السياسية ونشر الخطاب.

ج- ١- بيوت لله وللسياسة

منذ انطلاقته، «فطن حزب الله إلى الأهمية الكبيرة للمساجد في عملية التبليغ والاستقطاب»،[٥٦] وشكّلت الخطب التي ألقاها قادته في المساجد في ثمانينيات القرن الماضي، قبل تأسيس تلفزيون المنار وإذاعة النور، «أهم تواصل بين حزب الله ومؤيديه، ومصدرًا دائمًا لتعبئة أنصار الحزب».[٥٧] ولذلك قام ببناء وترميم عشرات المساجد والحسينيات، كما استفاد من أخرى موجودة ولكن لا يتوفر لها رجال دين يتولون مسؤوليتها، فمدّها بـ«معمَّمين» أعدّهم دينيًا وسياسيًا في حوزات راح ينشئها.

وكان الحدث الأسبوعي الأبرز في المساجد صلاة الجمعة التي أعاد حزب الله العمل بها، بعد أنْ كان قسم كبير من الشيعة يعلّقون إقامتها حتى ظهور الإمام المهدي. هكذا، «أعيد الاهتمام بإقامة صلاة الجمعة التي لم تكن تقام من ذي قبل، وفيها الخطبة التي تتناول المسائل الدينية والسياسية وشؤون المقاومة»،[٥٨] وراح في شق الخطبة السياسي يتناول «حال الأمة الإسلامية»، و«كان لهذه الصلاة التي بدأت تقام أسبوعيًا تأثيرها في بث الوعي الديني، فضلًا عن الوعي السياسي المنفتح على مشكلات الحياة السياسية اللبنانية والمرتبطة بالنظام اللبناني».[٥٩]

وأشهر المساجد التي استخدمتها الحركة الخمينية في بداياتها ثلاثة كبيرة في ضواحي بيروت الجنوبية هي مسجد الإمام الرضا في بئر العبد (إمامه السيد محمد حسين فضل الله)، مسجد الإمام المهدي في الغبيري (إمامه الشيخ حسن طراد)، ومسجد الرسول الأعظم في الرمل العالي/ طريق المطار (إمامه حسن نصر الله). وفي بيروت، برز مسجد فاطمة الزهراء في زقاق البلاط، وفي الجنوب مسجد جبشيت الذي كان الشيخ راغب حرب إمام صلاة الجمعة فيه، ثم خلفه بعد اغتياله الشيخ عبد الكريم عبيد إلى حين خطفه الإسرائيليون، ومسجد الغازية وكان يخطب فيه الشيخ عفيف النابلسي. وفي البقاع، لعب جامع الإمام علي في النبي شيت وكان يخطب فيه السيد عباس الموسوي والشيخ صبحي الطفيلي دورًا كبيرًا، وكذلك مسجد بوداي بإمامة الشيخ محمد يزبك.[٦٠]

نجح حزب الله في استقطاب الكثير من الشيعة إلى مساجده ودروسه الدينية، أكان في بعلبك حيث بدأ نشاطه، أو في ضواحي بيروت الجنوبية حيث مجتمع واسع من النازحين الذين تقطّعت علاقاتهم الاجتماعية

(٥٣) المرجع السابق، ص. ٣٩، ٤٠.
(٥٤) المرجع السابق، ص. ١٣.
(٥٥) المرجع السابق، ص. ٤٣.
(٥٦) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٠٧.
(٥٧) أسداللهي، مسعود، مرجع سابق، ص. ٣٣٤.
(٥٨) عماد، عبد الغني، حزب الله: إشكالية السياسة والمقاومة في مجتمع متنوع، مكتبة الإسكندرية، مصر، ٢٠١٣، ص. ٣١.
(٥٩) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣٠٨.
(٦٠) شرارة، وضاح، مرجع سابق، ص. ٢٣٢-٢٣٩.

بفعل نزوحهم عن قراهم فراحوا يبحثون عن روابط جماعية جديدة ووجد كثيرون منهم في «مجتمع حزب الله» ضالتهم. كما نجح الحزب في نشر فكره القائم على «فكرة الولاية»، أي الطاعة للولي الفقيه الإيراني، بين شرائح ليست بقليلة من المجتمع الشيعي.

وفي سبيل ربط محازبيه ومؤيديه سياسيًا وعاطفيًا بإيران، أسقط حزب الله مَرْويات من تراث الشيعة على السلطة الإيرانية ليصوّرها كسلطة لا تُهزم لأنها مرتبطة بقدوم المهدي، الإمام الثاني عشر الذي ينتظر الشيعة الاثني عشريون عودته ليعمّ العدل في العالم.

في إحدى خطبه قال الأمين العام الحالي لحزب الله نعيم قاسم، وكان وقتها نائبًا للأمين العام، «إن أبرز الروايات المتواترة، تلك التي تتحدث عن الرايات السود التي تخرج من خراسان... ويعمل قائدها الأعلى وكل قادتها تحت لواء إمام الزمان... [و] إنَّ مسيرة إيران من انطلاقة الإمام المقدس الخميني... وقيادة [مرشد الثورة الإيرانية علي] الخامنئي... وتضحيات الشعب الإيراني، وثباته على الإسلام والحق، يجعل التماهي كبيرًا جدًا بين إيران وما ورد من روايات».[٦١]

ولا يكتفي حزب الله بإشعار محازبيه ومناصريه بأنهم يؤيدون سلطةً مرتبطة بظهور إمامهم المنتظر، بل يشعرهم بأنهم جزء من هذه العملية عبر فكرة «التمهيد» للظهور أو «تهيئة» الظهور في تعبير آخر مستخدَم. «علينا أن نعمل على تهيئة العالم لظهور الإمام المهدي الموعود- سلام الله عليه»، كما قال الخميني.[٦٢]

ج- ٢- شعائر دينية وسياسية

لا يحرص حزب الله على الاستفادة من المناسبات الدينية الشيعية فقط بل يصنعها، ولطالما استخدم إحياء الاحتفالات بها كـ«وسيلة مهمة في بث الخطاب وترسيخه»، وكثرت المناسبات التي استحدثها و«بلغت حوالي ثلاثين احتفالًا سنويًا»، وهي «لم تكن تحظى بهذا النوع من الاهتمام والانتشار قبل[ه]».[٦٣]

(٦١) قاسم، نعيم، عصر الظهور (١)، موقع نعيم قاسم، ٦ شباط ٢٠١١.

(٦٢) الخميني، روح الله، صحيفة الإمام: تراث الإمام الخميني/ الجزء ٢١، مؤسسة تنظيم ونشر تراث الإمام الخميني- الشؤون الدولية، طهران، ترجمة منير مسعودي، مراجعة علاء رضائي، الطبعة الأولى، ٢٠٠٩.

(٦٣) عماد، عبد الغني، مرجع سابق، ص. ٣٢.

أهم تلك المناسبات عاشوراء التي يحيي حزب الله خلالها مجالس يومية في ضواحي بيروت ومختلف المناطق ذات الغلبة السكانية الشيعية، وفي اليوم العاشر منها يحرص على رسم مشهدية شعبية عبر تجمعات ومسيرات ضخمة. و«إذا كانت مجالس التعزية تعبّر عن أحد مؤشرات حالة الاستقطاب، فإن اليوم العاشر يغدو بمثابة يوم الفصل في إعلان الولاء. ففيه يظهر التمازج الديني- السياسي لهذه الشعيرة بأوضح تجلياته».[٦٤]

كذلك، يحيي حزب الله بعض المناسبات السياسية المطعّمة بخطاب ديني، وأبرزها «يوم القدس»، وهو مناسبة أطلقها الخميني، وموعدها يوم الجمعة الأخير من شهر رمضان، ولا يزال النظام الإيراني والقوى المرتبطة به يواظبون على إحيائها.

ولهذه المناسبة أهمية كبيرة لدى محور إيران والجماعات العربية المرتبطة بها، فالثورة الإسلامية الإيرانية رفعت شعار الدفاع عن القضية الفلسطينية، ثم حملته بالتبعية الجماعات المذكورة المؤسَّسة لاحقًا. وكان غرضه الأساسي الاستفادة من التعاطف الشعبي العربي الواسع مع هذه القضية بغية إدخال نفوذ طهران، بشكل ناعم (الخطاب نفسه) أو صلب (الميليشيات التي تحمل هذا الخطاب)، إلى قلب المجتمعات العربية.

ج- ٣- في البيوت والحسينيات

وسيلة تواصل لا تقل فعالية عن الجوامع، وأحيانًا تبزّها، هي المناسبات الاجتماعية، وعلى رأسها العزاءات. يشارك حزب الله في تلك المناسبات بطريقتين: الأولى تحدث في منزل المتوفى حيث يقف مسؤولوه المحليون بجانب أعضاء الأسرة وقد يسبقونهم في القيام ببعض الترتيبات الضرورية أحيانًا، وكثيرًا ما يزور نائب المنطقة الأسرة بدون شرط سابق معرفة بها. وعادةً ما تلاقي هذه الأمور استحسان الناس، وينظرون إليها على أنها نوع من الاحترام أو التقدير لـ«الوفاء السياسي».

أما الطريقة الثانية فمكانها الحسينيات في الأسبوعات، حيث يعتلي المنبر غالبًا خطيب يتكلّم باسم حزب الله أو يردد صدى خطابه، وقد يكون رجل دين أو رجل

(٦٤) طه، غسان فوزي، مرجع سابق، ص. ٣١٦.

نعيم قاسم يُلقي كلمة في أسبوع سيدة شيعية في إحدى حسينيات بيروت في حزيران ٢٠٢٤، موقع قناة المنار

سياسة، وكثيرًا ما يكون أحد نواب المنطقة، أو أحد المحللين المرتبطين مصلحيًا بحزب الله.

في هذه المناسبات يتحدث حزب الله لجمهوره عن الأمور التي يفضّل تجنّب الحديث عنها على المستوى الوطني العام، مثل الحديث الذي بدأ ينشره اعتبارًا من عام ٢٠١٣ بغرض تحفيز الناس على تقبّل مشاركته في الحرب السورية.[٦٥] وكان لا بد له من التطرّق إلى الموضوع حينذاك لأنَّ جثامين عناصره الذين بدأوا يسقطون في سوريا كانت تصل إلى القرى.[٦٦]

د- وصفة أنجع: «التنشئة»

يؤكد الأمين العام الحالي لحزب الله نعيم قاسم، وكان أبرز وجه مهتم بقضايا التربية والتعليم في حزب الله طيلة عقود من شغله منصب نائب الأمين العام في حزبه، على أهمية تربية الأطفال «منذ الصغر». «إنْ لم نربّهم نحن سيربيهم الآخرون، سيربيهم شياطين الأرض»، وفق قوله.[٦٧]

وتنبع أهمية العمل على الطفل منذ صغره، برأي قاسم، من أنَّ «الكبار الذين أخذوا خيارات في الحياة وأصبح عودهم قاسيًا لا تقدر معهم على التغيير والتبديل»،[٦٨] بخلاف الطفل «الطري»[٦٩] الذي يمكن مواكبته وملاحقة تطورات شخصيته «من أجل أن أزرع في الوقت المناسب».[٧٠]

هكذا، يشبّ الطفل، والطفلة بطبيعة الحال، ليصير جاهزًا للعيش بالطريقة التي يراها حزب الله الأنسب له وللمجتمع، وهو ما يوضحه قاسم في كلمة ألقاها في شباب وشابات تخرجوا من مرحلة الدراسة الثانوية، محددًا للفتاة المحجبة مهمة «رفع راية الإسلام بأخلاق عالية أمام أفكار فاسدة أثبتت فشلها»، وللشاب «حمل بيرق الجهاد».[٧١]

إدراكًا منه لأهمية التربية والتعليم، بدأ حزب الله عمله في هذا المجال عبر إطار «التعبئة التربوية» التي تأسست عام ١٩٨٥، وتعرِّف نفسها بأنها «حركة كادحة لتوأمة العلم والجهاد، والتربية والإيمان خدمةً للمقاومة والوطن وتمهيدًا للدولة العادلة».[٧٢]

ويشرح مسؤول التعبئة التربوية المركزية في حزب الله يوسف مرعي أنَّ هذا الجهاز يقوم على «ركيزة من ثلاثة أعمدة أساسية»، الأوّل هو «خدمة المجتمع من خلال العمل على تأمين الأقساط والمساعدة في الحسومات والكتب»، والثاني «بث الإيمان ونشر الإسلام في المؤسسات» إذ «لا يمكن العمل على صناعة شخص مقاوم إذا لم يكن مؤمنًا». أما الثالث فهو «المقاومة»، فقد «ساهمت التعبئة ببث ثقافة المقاومة (...) وترسيخ هذه الثقافة وخلق رأي عام مؤيد للمقاومة، وأيضًا من خلال

(٦٥) عباس، حسن، غزو سوريا، موقع المدن، ٩ أيار ٢٠١٣.

(٦٦) «أغزوهم قبل أن يغزوكم، فوالله ما غزي قوم قط في عقر دارهم إلا ذلّوا». بهذه الجملة المستلّة من خطبة شهيرة للإمام علي بن أبي طالب، ختم شيخ إحدى القرى الشيعية الجنوبية كلامه الهادف إلى تجييش الحشد المجتمع في النادي الحسيني على إيقاع تدخل حزب الله في سوريا.
«الحجر لا يمثل فقط حجرًا. ترابك هو كيانك وعزتك في الدنيا وسلامتك في الآخرة». بهذه الجملة مهّد شيخ إحدى القرى لانتقاله في خطبته إلى الحديث عن آخر مستجدات الوضع السوري بما فيها تدخّل حزب الله العلني، مضيفًا: «الاعتداء على حجر من مقامات الأولياء هو اعتداء على كل إنسان منّا. مع كل حجر يقطعون عضوًا من أعضائنا»، قبل أن يختم حديثه بقوله: «نحن أمة أنبياؤها مقاتلون».
أنظر/ي: المرجع السابق.

(٦٧) قاسم، نعيم، كلمة نعيم قاسم في مجمع سيد الشهداء في المجلس المركزي في الليلة الثانية من محرم المصادفة في ٢٢ أيلول ٢٠١٧، موقع نعيم قاسم.

(٦٨) المرجع السابق.

(٦٩) قاسم، نعيم، كلمة نعيم قاسم في «حفل تكليف» أقامته جمعية التعليم الديني الإسلامي في مدرسة المصطفى- الغدير في ٦ نيسان ٢٠٠٨، موقع نعيم قاسم.

(٧٠) قاسم، نعيم، وظيفة التربية الدينية في عالم متغير، موقع نعيم قاسم، ٢٥ كانون الثاني ٢٠١١.

(٧١) قاسم، نعيم، كلمة نعيم قاسم في حفل تخريج طلاب ثانويتي المصطفى والبتول المتفوقين في الشهادة الثانوية في قاعة الزهراء، في ٩ تشرين الأول ٢٠٠٨، موقع نعيم قاسم.

(٧٢) من نحن؟، موقع التعبئة التربوية في حزب الله.

المشاركة المباشرة بالمقاومة». وأعرب عن فخره بتقديم «التعبئة» شهداء، «خمسة وثمانون منهم استشهدوا في عدوان تموز».[٧٣]

وفكرة «تنشئة» الأطفال «منذ الصغر» و«تربيتهم» و«تشكيلهم» تطبّقها مدارس حزب الله، وعلى رأسها مدارس المهدي، مدارس المصطفى، مدارس الإمداد، ومجمّع المرتضى.

تتبع مدارس المهدي، وعددها ٢٢، لـ«المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم» وهي جمعية تربوية تأسست عام ١٩٩٣، وتهدف إلى «العناية بالناشئة وبناء جيل رسالي ملتزم النظام المعياري الإسلامي للقيم».[٧٤]

تقدّم نفسها على أنها «مدارس مدعومة لخدمة مجتمع المقاومة»، وتعتمد في مناهجها على مؤلفات خاصة بها يصدرها مركز التأليف والنشر التابع لـ«المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم». وبرأي المدير العام لهذه المؤسسة حسين يوسف، «لا يمكن أن تكون المناهج التي تتعامل مع الناشئة مناهج حيادية بل لا بد أن تكون تركز على قضايا العدالة ورفض الظلم والإباء والاستقلالية وتعظيم الوطنية والتضحية وتعظيم الشهادة والشهداء».[٧٥]

بحسب أرقام العام الدراسي ٢٠٢١-٢٠٢٢، استقبلت مدارس المهدي «أكثر من ٢٩،٣٣٠ تلميذًا».[٧٦] كذلك، «توفّر المؤسسة فرص العمل لأكثر من ٢٤٠٠ فرد من بيئة مجتمع المقاومة، بين معلّمين ومعلّمات، وإداريين وعمّال، فضلًا عن حوالي ٩٠٠ سائق باص».[٧٧]

أما مدارس المصطفى، وعددها ست ويعمل فيها نحو ألف شخص وبلغ عدد تلامذتها في العام الدراسي ٢٠٢٣-٢٠٢٤، ٩٥٦١ تلميذًا وتلميذة،[٧٨] فتتبع لـ«جمعية التعليم الديني الإسلامي» المؤسَسة عام ١٩٨١.

في تحديدها لأهدافها، وعدا حديثها عن بناء شخصية المتعلم «وفق قيم الإسلام المحمدي الأصيل» وكفاءة

تلامذة في مدارس المهدي يرفعون صور خامنئي، موقع جريدة العهد

التعليم، تفيد مدارس المصطفى بأن لها «ميّزات مكمّلة» بينها «أداء صلاة الجماعة داخل المدرسة للمكلّفين وإقامة احتفالات التكليف الشرعي للمتعلمات»، و«تربية المتعلمين على نهج الجهاد والمقاومة والمواطنة».[٧٩]

وهنالك أيضًا مدارس الإمداد، وهي أربع مدارس نموذجية ومعهد مهني «تستوعب ٤٨٠٠ طالب، وتضم حوالي ٣٠٠٠ طالب من مختلف المراحل إضافة لصفوف الصعوبات التعليمية»،[٨٠] وتتبع لـ«جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان» التي تأسست عام ١٩٨٧ وتحمل تمييز «لبنان» بجانب اسمها لأنَّ المؤسسة الأم إيرانية.

يمكن تكوين فكرة عن مدارس «الإمداد» من نشاطَين سنويين تحييهما، أولهما الاحتفال بذكرى انتصار الثورة الإسلامية في إيران؛ وفي نسخته لعام ٢٠١٩ شهدت واحدة من فقراته مشاركة ٢٠٠ طالب من صَفَّي الثامن والتاسع و«تخللها لمحة تاريخية من حياة الإمام الخميني (قده) وقيادته للثورة الإسلامية في إيران، وفقرة سؤال وجواب حُرّ ومباشر بين الطلاب وسعادة [القائم بأعمال السفارة الإيرانية في بيروت ممثلًا السفير]».[٨١] وثانيهما مسيرة طلابية بمناسبة «يوم الشهيد» يشارك فيها مئات التلامذة الذين يسيرون في ١١ تشرين الثاني من كل عام إلى مدافن شهداء حزب الله في ضواحي بيروت الجنوبية (روضة الشهيدين، روضة الحوراء زينب في الغبيري، روضة الرادوف)، حاملين مجسمات لنعوش ملفوفة بعلم حزب الله وصورًا لشهداء وقياديين من

(٧٣) المرجع السابق.
(٧٤) تعريف المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم، موقع منصة مهدي التعليمية.
(٧٥) مطر، علي، المؤسسة الإسلامية للتربية والتعليم: صرح تربوي لجيل رسالي واعد، موقع العهد، ٢١ حزيران ٢٠٢٢.
(٧٦) المرجع السابق.
(٧٧) المرجع السابق.
(٧٨) محمد، علي، جمعية التعليم الديني الإسلامي بعد ٥ عقود من التأسيس: انتشار متميز وتطوير مستمر، موقع العهد، ٢ أيار ٢٠٢٤.
(٧٩) مدارس المصطفى، موقع جمعية التعليم الديني الإسلامي.
(٨٠) مدارس ومعاهد الإمداد/ حول مدارس الإمداد»، موقع جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان.
(٨١) مهرجان (ألواني تنبض ثورة ومقاومة) في ثانوية الإمام الخميني (قده)- الحدت- بيروت، موقع جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان، ١٣ شباط ٢٠١٩.

صورة من النشاط المذكور أعلاه

الحـزب، وهدفهـا «ترسـيخ القيـم الأخلاقيـة والوفـاء والتضحيـة فـي دور المقاومـة والشـهداء».[٨٢]

وفـي بعلبـك، أسـس رئيـس الهيئـة الشـرعية فـي حـزب اللـه والوكيـل الشـرعي العـام لمرشـد الثـورة الإيرانيـة علـي خامنئي فـي لبنـان، الشـيخ محمـد يزبـك، عـام ١٩٨٥، وكان وقتهـا قياديًـا كبيـرًا فـي الحـزب وواحـدًا مـن مؤسسـيه، مدرسـة المرتضـى فـي بلـدة بـوداي، بتبـرع مـن إيـران. واعتبـر خـلال رعايتـه انتهـاء عامهـا الدراسـي الأول أنهـا مـن ثمـرات انتصـار الثـورة الإسـلامية فـي طهـران، معاهـدًا «أن تكـون المدرسـة موقعًـا مـن مواقـع الجهـاد المتقدمـة».[٨٣]

وحاليًـا هنالـك مدرسـتان تُطلَـق عليهمـا تسـمية «مجمـع المرتضـى التربـوي»، واحـدة لصفـوف الروضـات والحلقتيـن الأولـى والثانيـة، وفيهـا ٨٧٥ تلميـذًا،[٨٤] والثانيـة «ثانويـة المرتضـى» لصفـوف الحلقـات الثالثـة والرابعـة وفيهـا ٢٣٤ تلميـذًا.[٨٥]

ومـن أهـم المناسـبات المقامـة علـى هامـش التدريـس فـي مـدارس حـزب اللـه «حفـل التكليـف السـنوي» بمناسـبة إلباس الفتيـات مـن عمـر التسـع سـنوات الحجـاب لبلوغهـنّ سـن التكليـف الشـرعي. وعـن نظـرة هـذه المؤسسـات للطفـلات ودور النسـاء، قـال معـاون رئيـس المجلـس التنفيـذي لحـزب اللـه الشـيخ عبـد الكريـم عبيـد فـي حفـل أقيـم عـام ٢٠١٩، إن «مكلفـات اليـوم هـن أمهـات الغـد والمسـتقبل، وأمهـات المسـتقبل هـن أمهـات المجاهديـن وزوجـات المجاهديـن وأمهـات الشـهداء وأخـوات الشـهداء وهـن مَـن سـوف يربـي ويتعـب، وعـدم الاهتمـام بالمكلفـات اليـوم سـوف يـؤدي إلـى نشـوء جيـل مـن الأمهـات اللواتـي لا يؤمـنّ بالمقاومـة وعنـد ذلـك علـى المقاومـة السـلام».[٨٦]

صورة من الحفل المذكور

وفـي سـياق توسـيع حـزب اللـه لدائـرة وصـول رسـالته، بمـا يتجـاوز مؤسسـاته ومدارسـه، يأتـي دور سلسـلة كتـب للتعليـم الدينـي أعدّتهـا «دار أجيـال المصطفـى» التـي أسسـتها «جمعيـة التعليـم الدينـي الإسـلامي» عـام ١٩٩٣، وتحمـل اسـم «الإسـلام رسـالتنا»، وتغطـي سـاعات التعليـم الدينـي مـن الصـف الأول أساسـي حتـى الثالـث ثانـوي، وتُـدرَّس فـي معظـم المـدارس الدينيـة الشـيعية، كمـا فـي معظـم المـدارس غيـر الدينيـة الواقعـة فـي مناطـق ذات غلبـة سـكانية شـيعية. وعـام ٢٠٠٧ بلـغ عـدد الطـلاب الذيـن

(٨٢) ثانوية الإمام الخميني تنظم مسيرة طلابية بمناسبة ١١ تشرين الثاني، يوم شهيد حزب الله- لبنان، موقع جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان.

(٨٣) خليفة، علي، شيعة لبنان والتعليم- في نشأة نظام تربوي رديف ومآلاته، منشورات مؤسسة أمم للتوثيق والأبحاث، بيروت، ٢٠٢٣، ص. ٧٩.

(٨٤) مدرسة المرتضى، موقع المركز التربوي للبحوث والإنماء.

(٨٥) ثانوية المرتضى، موقع المركز التربوي للبحوث والإنماء.

(٨٦) مدارس المهدي (ع) البزالية ولجنة الإمداد- الهرمل تكرمان ٥١ فتاة بلغن سن التكليف الشرعي، موقع جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان، ٢٨ شباط ٢٠١٩.

تعلموا في هذه الكتب ١٣٥،٢٩٤ تلميذًا في ٥٢٨ مدرسة، بينها ٢٥٧ رسمية.[٨٧]

كذلك تقوم «الإدارة المركزية للتربية الدينية» في «جمعية التعليم الديني الإسلامي» بـ«تعميم التربية الدينية على المدارس الرسمية والخاصة والمهنية» في كافة المناطق اللبنانية «بمعدل حصة واحدة للصف أسبوعيًا على الأقل وذلك بالتعاون مع إدارات المدارس... كما تقوم بتأمين المعلمين الأكفاء لمادة التربية الدينية لجميع الصفوف، وتتابعهم وتؤمّن لهم كل المستلزمات والخبرات».[٨٨]

وبحسب المدير المركزي للتربية الدينية في جمعية التعليم الديني الإسلامي الشيخ علي سنان، طال التعليم الديني للعام الدراسي ٢٠٢٣-٢٠٢٤، ٥٢٣ مدرسة رسمية وخاصة، وعمل فيه ٤٣٥ شخصًا، واستفاد منه ١٤٣،٩٠٩ تلامذة، أي نحو ١٤ في المئة من طلاب لبنان.[٨٩]

يتضافر عمل هذه المدارس في تنشئة الصغار مع دور «كشافة الإمام المهدي»، وهي جمعية كشفية بدأت نشاطها عام ١٩٨٥ ونالت ترخيصًا رسميًا عام ١٩٩٢، وتحدد مهمتها «بالعمل على استقطاب الفئات العمرية من ٦ إلى ١٨ سنة».[٩٠] ووفق مفوضها العام نزيه فياض، واحد من أهدافها «العمل للتمهيد للإمام صاحب الزمان أرواحنا فداه».[٩١]

ويمكن تكوين فكرة عن الثقافة التي تعمل هذه الجمعية على غرسها في الأطفال الكشفيين من خلال موادها التثقيفية والتدريبية، وأساسها الاعتقاد بولاية الفقيه المطلقة على الطريقة التي نظّر لها الخميني. على سبيل المثال، في «مخيم البرنامج الثقافي للجوالين» قسم بعنوان «خيمة الولاية»[٩٢] يُدَرَّس فيه كتاب يحمل عنوان «دروس تمهيدية في ولاية الفقيه»، يرد فيه تحت عنوان «دور العلماء في عصر الغيبة»، أنَّ هؤلاء «هم السبيل إلى الله وهم باب الله، من أتاهم نجا، ومن تخلّف عنهم غرق وهوى»،[٩٣] ويروّج لمفهوم «وحدة ولاية الأمر»، بمعنى أن «القاعدة الأولية تقتضي وحدة ولاية الأمر في عصر الغيبة»، وبمعنى أبسط: هنالك قائد واحد يجب على الجميع اتّباعه هو الولي الفقيه.

«عام ١٩٩٢ كانت كشافة الإمام المهدي (عج) تضم ١٦٠٠ فرد»،[٩٤] وفق نزيه فياض، وعام ٢٠٢٢ تجاوز عدد منتسبيها الـ٨٥ ألفًا،[٩٥] نحو ٤٠ في المئة منهم إناث و٦٠ في المئة ذكور، وبينهم نحو ٦٠٠٠ قائد وقائدة أعمارهم فوق الـ١٧ عامًا.

هـ بين المصلحة/ الحاجة و«الإيمان بالخط»

اهتم حزب الله بالعمل الاجتماعي الخَدَمي منذ بدايته. يتحدث أمينه العام نعيم قاسم في كتابه «حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل (لبنان ومقاومته في الواجهة)» عن ذلك عارضًا باختصار عمل مختلف المؤسسات الاجتماعية المرتبطة بحزبه.

يعتبر قاسم أنَّ «هذا العمل الاجتماعي المواكب لحركة المقاومة قد خفف عبئًا كبيرًا عنها، وساعد الناس في تحمل آثار الاحتلال والعدوان، وأوجد جوًا من التكافل الاجتماعي الإنساني الذي حمى مجتمع المقاومة من الكوارث الاجتماعية التي نأت الدولة بنفسها عنها».[٩٦] وينفي أن يكون هدف حزبه من ذلك استقطابيًا. فبرأيه «الأصل في ارتباط الناس هو الإيمان بالخط»، ولكنه يعترف في المقابل بأن هذا العمل «أدى إلى الاستقطاب بشكل طبيعي» وساهم «بتعزيز ثقة المؤيدين والمناصرين بجدوى هذه المسيرة، التي تتكاتف وتتعاون وتتعاضد مع بعضها، لتبقى قوية متماسكة في اختيارها السياسي والمقاوم».[٩٧]

(٨٧) خليفة، علي، مرجع سابق، ص. ١٠١، ١٠٢.

(٨٨) التربية الدينية، موقع جمعية التعليم الديني الإسلامي.

(٨٩) بلغ عدد التلامذة للسنة الدراسية ٢٠٢٢-٢٠٢٣ في جميع قطاعات التعليم في لبنان ١،٠٧٩،٠٤٨ تلميذًا، منهم ٣٨،٢٠٥ في مدارس الأونروا (وكالة الأمم المتحدة لإغاثة وتشغيل لاجئي فلسطين في الشرق الأدنى). المرجع: المركز التربوي للبحوث والإنماء، النشرة الإحصائية للعام الدراسي ٢٠٢٢-٢٠٢٣.

(٩٠) أيوب، نور، كشافة المهدي في ثلاثينيتها: ٧٦ ألف منتسب، موقع جريدة الأخبار، ٦ حزيران ٢٠١٥.

(٩١) بلغ منتسبوها ٨٥ ألفًا.. كشافة الإمام المهدي (عج) تستعرض عامًا من الإنجازات، موقع العهد، ١ كانون الثاني ٢٠٢٣.

(٩٢) مخيم البرنامج الثقافي للجوالة/ خيمة الولاية، موقع كشافة الإمام المهدي: منتدى مهدي الكشفي.

(٩٣) مركز نون للتأليف والترجمة، دروس تمهيدية في ولاية الفقيه، جمعية المعارف الإسلامية الثقافية، بيروت، ط. ٢، ٢٠١٦، ص. ٥٨.

(٩٤) كشافة الإمام المهدي (عج) الأكبر في لبنان: منبت الرجال وأصالة الثقافة، موقع العهد، ١٩ آب ٢٠٢٢.

(٩٥) بلغ منتسبوها ٨٥ ألفًا.. كشافة الإمام المهدي (عج) تستعرض عامًا من الإنجازات، مرجع سابق.

(٩٦) قاسم، نعيم، حزب الله: المنهج.. التجربة.. المستقبل، مرجع سابق، ص. ١٣١.

(٩٧) المرجع السابق، ص. ١٣١.

بعض الوقائع على الأرض تخالف ما قاله قاسم. مثال على ذلك انتشار رسالة صوتية لموظف في «جمعية الإمداد» عام ٢٠٢٢ في منطقة بعلبك والهرمل يهدّد فيها بقطع المساعدات عن العائلات التي لا تقترع في الانتخابات النيابية للائحة الثنائي الشيعي.[٩٨]

وإذ أقرَّ مدير جمعية الإمداد الشيخ عباس الهق أنَّ مرسل الرسالة موظف في الجمعية، اعتبر أن كلامه محض اجتهاد شخصي منه، وأنَّ الجمعية لا تتبنّى كلامه مطلقًا ولم تعمل يومًا بهذا الأسلوب.[٩٩]

ولعمل حزب الله الاجتماعي أذرع كثيرة، أبرزها «الهيئة الصحية الإسلامية» التي تأسست عام ١٩٨٤، وبدأت بالقيام بخدمات الإسعاف الأوّلي والدفاع المدني، ثم تطورت لاحقًا لتنشئ مستوصفات ومراكز صحية ومستشفيات. ومن الأهداف التي تضعها لنفسها «خدمة المستضعفين والمحرومين وبالأخص القاطنين في المناطق الفقيرة والنائية والبائسة والمهملة من الدولة اللبنانية على الصعيد الصحي والاجتماعي».[١٠٠] وأحدث أرقام عن خدماتها على موقعها الإلكتروني تعود إلى عام ٢٠١٦، وفيها أنها طالت في النصف الأول من ذاك العام ٨٢٢،٣١٤ مستفيدًا،[١٠١] من بينها تقديم مستشفياتها الثلاثة (صلاح غندور، والبتول، والبقاع الغربي- سحمر) في الفصل الأول من العام نفسه ٦٠،٣١٩ خدمة.[١٠٢]

ومن هذه الأذرع مؤسسة جهاد البناء التي باشرت عملها عام ١٩٨٥، وتقوم بترميم الأضرار الناتجة عن الاعتداءات الإسرائيلية. وبحسب أرقام صادرة عنها، قامت بين عامي ١٩٩١ و٢٠٠٠ بإصلاح كل منزل تضرر جراء غارة أو هجوم إسرائيلي، بواقع ١٧،٢١٢ منزلًا،[١٠٣] بالإضافة إلى انخراطها في «العمل التنموي في شتَّى مجالاته».[١٠٤]

وهنالك «جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان» التي تأسست عام ١٩٨٧، وذكرنا مدارسها سابقًا، وهي نسخة لبنانية من «لجنة إمداد الإمام الخميني» الإيرانية،[١٠٥] وتعمل على «إعالة ورفع الحرمان عن كاهل العوائل الأكثر حرمانًا وفقرًا ممن لا معيل لهم» وتشمل رعايتها «الأيتام والمساكين والمرضى والعجزة وذوي الاحتياجات الخاصة». وبحسب الأرقام التي تنشرها على موقعها الإلكتروني، تقدّم المساعدة لـ٧٢٤٢ أسرة، لتطال بذلك ١٧،٥١٦ شخصًا.[١٠٦] ومن مشاريع «الإمداد» الشهيرة «بطاقة الإمام السجّاد» المخصصة لمساعدة أشخاص من «بيئة المقاومة» وليسوا من المنتسبين إلى حزب الله، وتتيح لهم التبضّع من «تعاونيات السجاد» و«مخازن النور» التي تقدّم سلعًا أساسية يقلّ ثمنها عن نظيراتها في باقي المتاجر الكبرى بنحو ٢٠ إلى ٥٠ في المئة. وبحسب تصريح للمسؤول الإعلامي لحزب الله في البقاع مالك ياغي في آذار ٢٠٢٣، «يستفيد منها أكثر من ٩٠ ألف عائلة».[١٠٧]

وإضافة إلى هذه المؤسسات هنالك أخرى تقدّم الرعاية بشكل أساسي لـ«مجتمع حزب الله» وإنْ كانت تقول إنَّ خدماتها غير محصورة بهؤلاء، وعلى رأسها «مؤسسة الجرحى»، وتشمل أهدافها «تأمين العلاج والاستشفاء للجريح منذ اللحظة الأولى لإصابته ومتابعته»، و«تأمين كل ظروف الحياة الكريمة للمعوقين من الجرحى»،[١٠٨] و«مؤسسة الشهيد» التي تستفيد من خدماتها أسرة «الشهيد» (الزوجة والأولاد) والأهل (الأب والأم).[١٠٩]

(٩٨) علام، فاتن، هل هدّد حزب الله بقطع المساعدات عن جمهوره إذا عصا؟، موقع المفكرة القانونية، ١٩ أيار ٢٠٢٢.

(٩٩) المرجع السابق.

(١٠٠) عن الهيئة/ رسالة الجمعية وأهدافها، موقع الهيئة الصحية الإسلامية.

(١٠١) التقرير الإحصائي لخدمات الهيئة الصحية الإسلامية، موقع الهيئة الصحية الإسلامية، ٨ تشرين الثاني ٢٠١٦.

(١٠٢) عن الهيئة/ إحصائيات، موقع الهيئة الصحية الإسلامية، ٤ آب ٢٠١٦.

(١٠٣) Gabrielsen, Iver. «Hezbollah's Strategy and Tactics in the Security Zone from 1985–2000.» Small Wars Journal, 11 July 2013. (Cited in: Burdette, Jeff. «Anatomy of a Winning Insurgency: Learning From Hizballah's Victory Over Israel in the 1982-2000 South Lebanon Conflict.» Georgetown Security Studies Review, 10 June 2014).

(١٠٤) مَن نحن؟، موقع جمعية مؤسسة جهاد البناء.

(١٠٥) عن تأسيس «الإمداد» يروي المدير العام للجمعية محمد برجاوي أنه في أواسط عام ١٩٨٦ كانت الظروف الاقتصادية الصعبة تثقل كاهل الناس، فجرت مراسلة الخميني «من أجل الاستنجاد جراء الثقة به وبإيران»، و«الإمام الخميني لبّى النداء، وأرسل المؤسّسين إلى لبنان، وقال لهم: 'اذهبوا إلى لبنان وانظروا أبنائي ماذا يريدون'. على ضوء ذلك، حطّت مجموعة من الشباب في الجمهورية الإسلامية للاطلاع على تجربة لجنة الإمداد هناك. وبالفعل هؤلاء زاروا عدّة مدن إيرانية وتعرفوا من خلال مكاتبها الاجتماعية على كيفية التعامل والتحقق من العوائل المستضعفة والفقيرة. كذلك كان هناك لفتة من سماحته وإيران بأن أرسل مبلغًا ماليًا تحت عنوان حالة طوارئ». (انظر/ي: الحسيني، لطيفة، الإمداد.. بنية إنسانية صلبة، موقع العهد، ٣٠ حزيران ٢٠٢٢).

(١٠٦) جدول أسباب الإعالة للأفراد والأسر الذين ترعاهم الإمداد في لبنان، موقع جمعية الإمداد الخيرية الإسلامية- لبنان.

(١٠٧) على أبواب الشهر المبارك.. ٣ آلاف سلة غذائية من حزب الله إلى أهالي بعلبك الهرمل، موقع العهد، ٢٠ آذار ٢٠٢٣.

(١٠٨) ٣٤ سنة من بلسمة الجراح، موقع مؤسسة الجرحى.

(١٠٩) الحسيني، لطيفة، مؤسسة الشهيد: برٌّ صاحٍ، موقع العهد، ٢٤ حزيران ٢٠٢٢.